

## الإسلام والرسالة

### الرسالات والرسل ومحمد ﷺ ،

خلق الله الناس وفطرهم على الإيمان به، وجعل في طبائعهم من الغرائز وال ميول ما لا يعرض حياتهم للانحراف عن الحق تحت تأثير الأهواء والنزعات المختلفة قال تعالى: ﴿ فَأَقَمَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الروم: ٣٠).

وقال رسول الله ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة وأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»<sup>(١)</sup>.

وذلك هو العهد الذي أخذه الله على بني آدم، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾ (الأعراف: ١٧٢)، فاقترضت حكمة الله تعالى أن يصطفى من عباده رسلا يردون الناس إلى فطرتهم، ويرشدونهم إلى دين الله والاهتداء بهديه سبحانه وتعالى حتى تقوم عليهم الحجة، قال سبحانه وتعالى: ﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ (النساء: ١٦٥).

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب الجنائز حديث رقم (١٢٩٦) دار الفكر، صحيح مسلم كتاب السنة رقم (٤٠٩١).

وكانت رسالة كل رسول قاصرة على قومه خاصة في إصلاح ما فسد من عقائدهم وأخلاقهم والعمل على تهذيب نفوسهم وأرواحهم، بإرجاعهم إلى فطرة التوحيد ودين الحق.

فلما نضج العقل البشري، وتعدت أمامه مشاكل حياته، أذن الله بفجر دين جديد يلقي أضواءه على جوانب الحياة كلها ليكتمل صرح الحضارة الإنسانية التي بناها رسل الله، فكان هذا الدين هو الإسلام ورسوله محمد ﷺ، قال ﷺ: «إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له، ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟ فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين»<sup>(١)</sup>.

وأخذ الله على أنبيائه بذلك العهد والميثاق، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ آلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمَّا أَتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ، وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ (آل عمران: ٨١).

فالوحي الإلهي المتتابع يمثل نهراً تكونت له روافد، وتفرعت منه جداول تروى ما يذبل من آيك<sup>(٢)</sup> العقيدة، وما يجف من أعواد الفضيلة، لتبقى خصائص الإنسانية البناءة في ازدهار ونمو تؤتي أكلها - لخير الناس - كل حين بإذن ربها. وينبع هذا النهر ويفيض خيره حيث يرسل الله ملائكته سفراء إلى رسله، وقد انتهى مصب هذا الماء الغدق برسالة محمد ﷺ نبي الإسلام.

(١) صحيح البخاري باب المناقب (١٦/٣٣٤١، ٣٣٤٢) - وصحيح مسلم كتاب الفضائل باب (٧) ص ٢٣/٢٠.

(٢) الآيك: الشجر الكثيف الملتف.

والقرآن الكريم يحكى خصوصية رسالات الأنبياء السابقين.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ ﴾ (هود: ٢٥).

وقال سبحانه: ﴿ وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۗ إِنِ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ (هود: ٥٠).

وقال عز وجل: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۗ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوا لَهُ ثُمَّ تُوْبُوا إِلَيْهِ ۗ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ ﴾ (هود: ٦١).

وقال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۗ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ۗ إِنَّي أَرَىٰكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ ﴾ (هود: ٨٤).

وقال سبحانه: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ (الأعراف: ٨١).

وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ قِرْعَانَ وَمَلَإِيهِمْ فظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ (الأعراف: ١٠٣).

وقال في شأن عيسى: ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ (آل عمران: ٤٩).

ولكن رسولنا محمد ﷺ يعلن عالمية دعوته، وعموم رسالته ونبوته للعالمين، وختمه للنبيين فقال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ (الفرقان: ١).

وقال سبحانه: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (الأنبياء: ١٠٧).

وقال تعالى: ﴿ قُلْ يَتَّيِّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (الأعراف: ١٥٨).

وقال تعالى: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٤٠).

وقال ﷺ: «كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة»<sup>(١)</sup>.



(١) صحيح البخاري أوائل التيمم (ح ٣٢٨) والصلاة باب ٢٣ (ح ٤٢٧) ومسلم أوائل الصلاة (٣) - وانظر تاريخ التشريع الإسلامي، مناع القطان، طبعة مؤسسة الرسالة ص ١٦-١٨.

## السنة

### تعريف السنة ومعناها :

السنة مصدر للدين، عقيدة، وشريعة، وأخلاقاً، وآداباً، وفضائل، وعلومًا، ومعارف.

ويستمد منها الأحكام التكليفية الخمسة فهي: تأمر بالواجب، وتحض على المندوب - السنة في عرف العامة - وترشد إلى المباح، وتحذر من المكروه وتنهى عن الحرام وهذا التعريف اتفق عليه علماء الشريعة جميعهم<sup>(١)</sup>.

### السنة عقيدته وشريعة :

للإسلام أركان خمسة، فمن عرف حدودها وصدق بها وعمل بما تقتضيه من الأعمال، كان ممن قال عنهم الله عز وجل: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ ﴿الأنفال: ٤﴾.

لكن اقتضت حكمة الله تعالى - تيسيرا على عبادة وتفضلاً عليهم - أن يجعل الباب الذي يلجج العباد إلى الإيمان دون ذلك التفصيل، فاكفى منهم بالإجمال الذي يندرج تحته التفصيل: فقبل منهم في مبدأ الأمر أن يقرؤا بألسنتهم وقلوبهم بأن الله سبحانه هو ربهم ومعبودهم بحق، دون سواه، وأن محمداً ﷺ هو رسول الله، وأن جميع ما جاء به من عند ربه حق وصدق والعمل به واجب، وجعل لذلك عنواناً، وهو الكلمة الطيبة «لا اله إلا الله محمد رسول الله».

(١) حجية السنة أ. د / الحسين شواط، ص (٢٢) - طبعة الجامعة الأمريكية المفتوحة.

فمن قال هذه الكلمة بلسانه، وصدق بها بجنانه، ولم يقرنها بما ينقضها من القول أو العمل أو الاعتقاد، دخل في دين الله، وفارق الكفر الذي كان عليه<sup>(١)</sup>.

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «بنى الإسلام على خمس: شهادة أن لا اله إلا الله وأن محمد عبده ورسوله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت وصوم رمضان»<sup>(٢)</sup>، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما قدم وقد عبد القيس على رسول الله ﷺ وسألوه عن أمر نعمل به وندعوا من وراءنا، قال ﷺ: «الإيمان بالله - وفسرها - فقال لهم شهادة أن لا اله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة..»<sup>(٣)</sup>، وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من شهد أن لا اله إلا الله وأن محمداً رسول الله حرم الله عليه النار»<sup>(٤)</sup>.

ولا يكفي للدخول في الإسلام مجرد النطق بإحدى الشهادات بل لا بد منهما سوياً، ولا خلاف بين العلماء أن النطق بالشهادتين والتصديق بهما لا يكون منجياً من الخلود في النار وكافياً في دخول الإيمان والإسلام، إذا كانا مقترنين بما ينقضهما أو ينقض أحدهما: فلا يحكم بإيمان إنسان جاء يقول: أقر أن لا اله إلا الله وأن محمد رسول الله ولكن لا أعترف بوجوب الزكاة والحج، أو بجرمة الزنا أو الربا أو غير ذلك من أحكام الإسلام التي أخبر بها القرآن أو الرسول محمد ﷺ<sup>(٥)</sup>.

(١) كتاب الإيمان - أركانه - حقيقته - نواقضه ص ١٣٦، ١٣٧، دار الفرقان للنشر والتوزيع.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (١٧٧/١)، دار إحياء التراث العربي.

(٣) المصدر السابق، (١٨٣/١).

(٤) المصدر السابق (٨٣/١).

(٥) كتاب الإيمان أركانه وحقيقته ونواقضه ص ١٢٨.

أو يقول: أقر أنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ولكنني أعتقد أنها كانت خاصة بقوم أو بجيل معين أو زمن فإن نطقه بالشهادتين لا يكون كافياً لاعتباره مسلماً، فلا بد مع هذا الإقرار أن يقر بأن محمداً رسول الله إلى الناس أجمعين، وبعموم رسالته ﷺ إلى يوم الدين، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ (الأعراف: ١٥٨).

وقال عز وجل: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١٥٨). (الأعراف: ١٥٨).

وليس مؤمناً من قرن إقراره بالشهادتين بتفسير خاص لهما يؤول إلى إنكار توحيد الله في بعض صفاته وأسمائه، أو أقر بهما وهو ينكر بعض القرآن ولو آية أو كلمة أو حرفاً، فلا تنفعه الشهادتين، وقد جاء معهما بما يكذب به القرآن أو الرسول ﷺ<sup>(١)</sup>.

### لا إله إلا الله محمداً رسول الله منهج حياة.

العبودية لله وحده هي شطر الركن الأول في العقيدة الإسلامية المتمثلة في شهادة أن لا إله إلا الله، والتلقي عن رسول الله ﷺ في كيفية هذه العبودية هو شطرها الثاني المتمثل في شهادة أن محمداً رسول الله.

إنها القاعدة التي يرجع إليها الأمر كله، عبودية لله وحده واتباع لرسوله، قاعدة المنهج الذي يحكم الحياة، قاعدة كل حركة يتحركها المؤمن هنا وهناك.

الإيمان بالله هو إفراده - سبحانه - بالألوهية والربوبية والعبادة، ومن ثم إفراده بالسيادة على ضمير الإنسان وسلوكه في كل أمر من أمور الحياة لا شريك له في

(١) كتاب الإيمان - أركانه - حقيقته - نواقضه، ص ١٣٧-١٤٢.

الخلق ولا شريك له في تصريف الأمور، ولا يتدخل في تصريف الكون والحياة والأمور كلها احد، ولا يتم شيء في هذا الوجود صغيراً أو كبيراً إلا ما يأذن به سبحانه ويرضاه.

فلا يستحق العبادة إلا هو وحده، فلا عبادة إلا لله ولا أتباع إلا لمن جاء به شرعه، والتلقي منه في كل أمر، فلا إسلام بلا طاعة وإنفاذ لمنهجه في الحياة. وهكذا تتلقى الأمة المسلمة تراث الرسالة كله، بالصورة التي اختارها سبحانه وجعلها صلة بين العبد وربه<sup>(١)</sup>.

ومن ثم تمثل هذه العبودية في الاعتقاد كما تتمثل في الشعائر التعبدية، كما تتمثل في الأخلاق، والآداب والمعاملات كل ذلك سواء.

فليس عبداً لله وحده من لا يعتقد بوحدانية الله - سبحانه - قال تعالى: ﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَإِنِّي فَارِهُونَ ﴾ ﴿٥١﴾ وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ﴾ ﴿٥٢﴾.

وليس عبداً لله وحده من يقوم بالشعائر التعبدية لأحد غير الله - معه أو من دونه - قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن صَّلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿١٦٣﴾ لا شريك له وبيدك أمرت وأنا أول المسلمين ﴿١٦٢﴾ (الأنعام: ١٦٢، ١٦٣).

وليس عبداً لله وحده من يتلقى الشرائع والأوامر والنواهي من أحد سوى الله تعالى عن الطريق الذي بلغنا الله به، وهو رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِّبَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ﴿٢١﴾ (الشورى: ٢١).

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، بتصرف، دار الشروق بيروت، (١/٣٤١-٣٤٢).



وقال تعالى: ﴿ مَا أَقَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ  
وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَمَا لَا يَكُونُ دُولَةً بَيْنَ  
الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ  
اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾ (الحشر: ٧).

هذه هي شهادة أن لا اله إلا الله وأن محمداً رسول الله، استسلام تام في  
النفوس وفي المشاعر والعبادة والتعامل مع جميع الحقائق في الكون - غيبه  
وشهوده - فلا إسلام ولا إيمان - ابتداء - إلا أن يسيروا على منهج الله متمثلاً في  
حياة الرسول ﷺ في أحكام الرسول ﷺ باقياً بعده في مصدره القرآن والسنة،  
ولا يكفي أن يتحاكموا إليه - ليحسبوا مؤمنين - بل لابد من أن يتلقوا حكمه  
مسلمين راضين، قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا  
شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾  
(النساء: ٦٥).

فهذا هو شرط الإيمان وحد الإسلام، أن تطيع الله عز وجل «في القرآن» وأن  
تطيع رسول الله ﷺ في سنته، إقرار للشهادة بشروطها بألستهم، وإقرارها في  
ضمايرهم ومشاعرهم وفي أوضاعهم وواقعهم، فحينئذ يكون للمؤمنين بهذه  
العقيدة سلطان على أنفسهم وضمائرهم وأخلاقهم وتعاملاتهم مستمداً من كتاب  
الله وسنة رسوله ﷺ<sup>(١)</sup>.

يقول الحافظ بن كثير في تفسيره لهذه الآية: يقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة  
أنه لا يؤمن أحد حتى يحكم رسول الله ﷺ في جميع الأمور، فما حكم به فهو

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، بتصرف، (ج ٢-٦٨٧).

الحق الذي يجب الانقياد له باطناً وظاهراً، ولهذا قال سبحانه وتعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٥٦).

أي: إذا حكموك، أو رجعوا إلى ما حكمت في كل قضية، يطيعون في بواطنهم فلا يجدون في أنفسهم حرجاً مما حكمت به، وينقادون له في الظاهر والباطن فيسلمون لذلك تسليماً كلياً من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة<sup>(١)</sup>.

على أن يكون هذا الاعتقاد وهذا الإتيان نابع من القلب مع الإقتناع الكامل بأن هذا الدين وهذا المنهج هو خير للبشرية جمعاء، لأن الذي كتبه علينا وأنزله إلينا هو الله وهو الخالق وهو العليم الخبير بما خلق وبما فرض، قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الملك: ١٤).

فهو الذي يعلم أحوال خلقه وما يصلح معاشهم ومعادهم، وما يحقق لهم الخير في دنياهم وآخرهم، وهو العليم الخبير.

وهنا الإسلام والدين يسألان كما في قوله تعالى: ﴿ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ (البقرة: ١٤٠).

ويجيب: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢١٦)، وقال تعالى:

﴿وَمَا أَوْتِيْتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الإسراء: ٨٥).

ودين الله تعالى ليس غامضاً، ومنهجه للحياة ليس مائعاً، إنما هو محدد بشطر الشهادة الثاني (محمد رسول الله) فهو محصور فيما بلغه رسول الله ﷺ قرآناً وسنة، قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَزَّعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ (النساء: ٥٩).

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (ح ٤٩٣/١)، دار الحديث - القاهرة.

وبهذا يبقى المنهج الرباني مهيمناً على ما يطرأ على الحياة من مشكلات وأفضية كذلك أبدا مدى الدهر، وتمثل هذه القاعدة نظام حياة الأمة المسلمة الأساسي الذي لا تكون مؤمنة إلا به، ولا تكون مسلمة إلا بتحقيقه، إذ هو يجعل الطاعة ورد المسائل التي تجدد وتختلف فيها وجهات النظر إلى الله ورسوله، شرطاً واضحاً ونصاً صريحاً، قال تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ (النساء: ٥٩)<sup>(١)</sup>.

### ما ينقض الشهادة بشطريها .

ومن هنا نعلم أن الأمور التي تكون سبباً في نقض الشهادة بشطريها وتكون سبباً في الخروج من دين الله عز وجل تنوع إلى أنواع جميعها يرجع إلى القاعدة العامة، وكل نوع يدخل فيه صور وتفصيلات كثيرة ولكن تلك الأنواع يمكن حصرها في أربعة أنواع:

- ١- نوع يتضمن إنكار الربوبية أو الطعن فيها.
- ٢- نوع يتضمن الطعن في أسماء الله وصفاته.
- ٣- نوع يتضمن الطعن في الألوهية.
- ٤- نوع يتضمن إنكار الرسالة أو الطعن في صاحبها سيدنا محمد ﷺ أو إنكار شيء منها.

فهذه أربعة أنواع يدخل في كل واحدة منها صورٌ من الأفعال والأقوال والاعتقادات يعود جميعها على الشهادتين بالنقض، وتخرج صاحبها من الإسلام والعياذ بالله<sup>(٢)</sup>.

(١) في ظلال القرآن بتصرف سيد قطب (٢/٦٨٧-٦٨٨).

(٢) الإيمان أركانه - حقيقته - نواقضه - أ.د/ محمد نعيم ياسين، ص ١٤٥، ١٤٦، ١٥٦.

## ما ينتقض الشطر الثاني من الشهادة:

إن ما نتاوله في موضوعنا هذا هو الشطر الثاني من الشهادة وهو (وأن محمد رسول الله) وما ينقضه: هو كل قول أو فعل أو اعتقاد يتضمن الطعن في الرسالة أو صاحبها ﷺ لأن ذلك نقض في شهادة أن محمد رسول الله، لأن هذه الشهادة تعني التصديق بكل ما ثبت عن رسول الله أنه حق وصدق وأن محمداً ﷺ أهله ربه وحلته بجميع الصفات التي تمكنه من أداء الرسالة وتبليغها على أتم وجه<sup>(١)</sup>.

## نواقض الشطر الثاني من الشهادة أحد أمرين أو كلاهما:

أولاً: الطعن في رسول الله ﷺ.

ثانياً: إنكار بعض ما أخبر به رسول الله ﷺ أو الطعن فيه.

ويدخل في الأمر الأول نسبة أي شيء للرسول ﷺ مما يتناقض مع اصطفاء الله له لتبليغ دينه إلى عباده ويكفر كل من طعن في صدق الرسول ﷺ أو أمانته، أو عفته أو صلاح عقله ونحو ذلك.

وأيضاً يكفر من سب الرسول ﷺ أو استهزأ أو استخف بتصرفه من تصرفاته الثابتة الصحيحة.

ويدخل في الأمر الثاني إنكار أي أمر من الأمور التي أخبر بها.

فيكفر من أنكر ما أخبر به الرسول ﷺ وثبت عنه من أمور البعث والحساب والميزان والصراف والجنة والنار ونحوها من الغيبات<sup>(٢)</sup>.

(١) كتاب الإيمان - أركانه - حقيقته - نواقضه - أ.د/ محمد نعيم ياسين ص ١٤٥، ١٤٦، ١٥٢.

(٢) المصدر السابق ص ١٥٢.

ويكفر أيضاً من أنكر شيئاً من القرآن مهما كان، لأن جميع آيات القرآن أخبر ﷺ أنها من كلام الله سبحانه وتعالى، فمن جحد شيئاً من ذلك فقد كذب الرسول ﷺ ويكفر أيضاً من أنكر حكماً من الأحكام الثابتة في القرآن أو السنة، فيكفر كل من أنكر فرضية الصلاة أو الزكاة أو حرمة الزنا أو الربا أو السرقة أو ادعى زيادة ركعة في إحدى الصلوات قاصداً، أو جواز الصلاة بدون وضوء ونحو ذلك<sup>(١)</sup>.

قد بينا أن شهادة لا اله إلا الله وأن محمداً رسول الله هي المدخل للإسلام، وأن اعتقادها والإقرار بها قولاً وعملاً بشطريها هو الواجب للدخول في الإسلام، وإن من أخل بشطر من شطريها لم يكن مسلماً، وأن السنة النبوية ليست شيئاً جانبياً بالنسبة للإسلام، إنما هي أصل من أصوله، فإننا لسنا مخيرين في الإيمان بها والالتزام والعمل بمقتضاها، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴾ (الأحزاب: ٣٦)<sup>(٢)</sup>.

فهي عقيدة وأصل من أصول ديننا وعقيدتنا، فلنبادر بتصحيح عقيدتنا ومسارنا إلى الله تعالى قبل فوات الأوان.

(١) كتاب الإيمان - أركانه - حقيقته - نواقضه أ. د / محمد نعيم ياسين ص ١٥٢.

(٢) المصدر السابق ص ١٥٢.

## أهمية السنة ومكانتها في الإسلام

### التشريع كله وحي من الله تعالى ،

التشريع الإسلامي كله وحي من عند الله، إما أن يكون وحياً إلهياً بالمعنى واللفظ وذلك كالقرآن الكريم فهو وحي معجز بألفاظه متعبد بتلاوته، وإما أن يكون وحياً إلهياً بالمعنى دون اللفظ، فلا يتعبد بتلاوته وذلك يتمثل في سنة رسولنا محمد ﷺ فإن لفظ الحديث من كلامه وَإِنْ كَانَ مَعْنَاهُ وَحِيًّا لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ ﴿٢﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٣﴾ ﴾ (النجم: ٣، ٤).

فالله وحده هو المشرع، ورسوله هو المبلغ المبين لشرعه قال تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ (النحل: ٤٤). وقال: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ (الأنبياء: ٤٥).

وقال تعالى: ﴿ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾ (يونس: ١٥).

إذن فكلام النبي ﷺ في دين الله كله وحي، وقد أوجب الله طاعة رسوله وأنها من طاعته، قال تعالى: ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ (النساء: ٨٠).

وجعل حكمه ﷺ عن الهام منه تعالى قال سبحانه: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ﴾ (النساء: ١٠٥).

فلا شرع إلا ما شرع الله أو ما شرع رسوله، ولهذا كان للتشريع مصدرين أساسيين هما الكتاب والسنة<sup>(١)</sup>.

(١) تاريخ التشريع الإسلامي - بتصريف مناع القطان ص ٣٤.

وقد ورد التصريح في أحاديث كثيرة منها:

قوله ﷺ: «أوحى إلي أنكم تفتنون في قبوركم»<sup>(١)</sup>.

وقوله: «إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد»<sup>(٢)</sup>.

قوله ﷺ: «إن روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستوفي رزقها وأجلها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، خذوا ما حل ودعوا ما حرم»<sup>(٣)</sup>.

ونزول جبريل ﷺ في صورة بشرية معلماً بالوحي كما في حديث الإيمان والإسلام والإحسان، وفي آخره: «فإنه جبريل أتاكم يعلمكم أمور دينكم»<sup>(٤)</sup>.

ومما يدل على ذلك حديث البراء بن عازب أنه قال: إن رسول الله ﷺ قال: «إذا أخذت مضجعت فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن ثم قل اللهم إني أسلمت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت، واجعلهن آخر كلامك، فإن مت من ليلتك مت وأنت على الفطرة، قال فرددتهن لأتذكرهن فقلت آمنت برسولك الذي أرسلت فقال ﷺ: «قل آمنت بنبيك الذي أرسلت»<sup>(٥)</sup>.

(١) صحيح البخاري مع الفتح (٢٥١/١٣).

(٢) صحيح مسلم رقم (٢٨٦٥).

(٣) أخرجه البغوي في شرح السنة (٣٠٥/١٤) (ح ٤١١٢).

(٤) البخاري مع الفتح (١٥٧/١) (ح ٥٠).

(٥) صحيح البخاري، باب إذا بات طاهراً (٣٠٦/٨) دار الحديث القاهرة - ومسلم بشرح النووي،

باب: الدعاء عند النوم (٣٢/١٧، ٣٣).

إن سبب إنكاره ﷺ ورده اللفظ وتصحيحه إياه، أن هذا ذكر ودعاء فينبغي فيه الاختصار على اللفظ الوارد بحروفه فقد يتعلق الجزء بتلك الحروف، ولعله أوحى إليه ﷺ بهذه الكلمات فيتعين أداؤها بحروفها<sup>(١)</sup>.

### ما صدر عن النبي ﷺ بغير قصد التبليغ.

أما ما صدر عن النبي ﷺ بغير قصد التبليغ، ومن ذلك أجهاده ﷺ، وما صدر عنه ابتداء من غير سابق وحي، وهذا القسم نوعان:

#### النوع الأول.

أن يوافق عليه الوحي ويقره عليه فيصبح حينئذ بمنزلة الوحي وفي حكمه من حيث الحجية والاعتبار ووجوب العمل به، وتعرف الموافقة والإقرار له بعدم التعقيب عليه بالمخالفة وعدم الإنكار عليه، وعدم نزول حكم يناقضه، لأن الوحي لا يتركه بلا تعقيب إذا كان ما صدر عنه خلاف مراد الله، فإن الوحي لا يقر على ما لم يرضه الله ديناً لعباده.

قال تعالى:

﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ (الحاقة: ٤٤ - ٤٧).

يقول تعالى: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا ﴾ أي محمد ﷺ لو افترى علينا فزاد في

الرسالة أو نقص منها أو قال شيئاً من عنده وليس كذلك لعاجلتنا بالعقوبة<sup>(٢)</sup>.

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، باب الدعاء عند النوم (٣٣/١٧).

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٤/٤١٧، ٤١٨).

ومفاد هذا القول من الناحية التقريرية أن محمداً ﷺ صادق فيما يبلغه، وأنه لو تقول بعض الأقاويل التي لم يوح بها إليه، لأخذه الله فقتله على هذا النحو الذي وصفته الآيات، ولما كان هذا لم يقع فهو لا بد أنه صادق.

وهذا المعنى يلقي ظلالاً فيه رهبة وفيه هول، وفيه حركة الأخذ باليمين وقطع الوتين، وهي حركة عنيفة هائلة مروعة، ورائها إجماع بجدية هذا الأمر الذي لا يحتمل تسامحاً ولا مجاملة لأحد كائناً من كان ولو كان هو محمد الكريم عند الله الأثير الحبيب<sup>(١)</sup>، وآخر الآيات: ﴿فَمَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿١٧﴾﴾ أي فما يقدر أحد منكم على أن يحجز بيننا وبينه إذا أردنا به شيئاً من ذلك، والمعنى في هذا بل هو صادق بار راشد لأن الله عز وجل مقرر له فيما يبلغه عنه ومؤيد له.

وقد قال عمر بن الخطاب بسبب هذه السورة قال: فوقع الإسلام في قلبي كل موقع، فكانت هذه السورة من جملة الأسباب التي جعلها الله تعالي مؤثرة في هداية عمر بن الخطاب رضي الله عنه<sup>(٢)</sup>.

ونعود إلى الكلام عن موضوعنا بأن الوحي لا يقر الرسول ﷺ على أمر لا يرضى الله عز وجل، لأن الله قد أمرنا بإتباعه في جميع ما يصدر عنه وما يهدي إليه، وأنه القدوة المطلقة والمثل الأعلى والهادي بالوحي، قال الإمام الشافعي: وما لم يكن فيه وحي فقد فرض الله في الوحي إتباع سنته ﷺ فمن قبل عنه فإنما قبل بفرض الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (الحشر: ٧).

واحتج بن مسعود رضي الله عنه بالآية نفسها، وقال: إن من قبل عن رسول الله ﷺ فبكتاب الله قبل، فإن حكمه في وجوب إتباعه حكم ما ورد به الكتاب.

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب (٦/٣٦٨٩).

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٤/٤١٧، ٤١٨).

وحكم هذا النوع: أن له حكم الوحي وذلك لإقرار الوحي له، فيجب العمل به والتزامه، مع العلم أنه لن يتخلى الوحي أبداً عن تسديد الرسول ﷺ وتوجيهه كما سيأتي في النوع الثاني<sup>(١)</sup>.

### النوع الثاني:

أن يكون النبي ﷺ قد صار في اجتهاده أو ما صدر عنه ابتداء إلى خلاف الأولى فيرشده المولى عز وجل ونبهه إلى الأولى ويأمره باتباعه، وحينئذ يجب العمل بالبديل الموحى به وترك خلاف الأولى فيكون الاحتجاج في تلك الحالة بعدم التقرير عليه وبالتنبية الذي جاء عقبه<sup>(٢)</sup>.

### والأمثلة على ذلك قليلة منها:

أ - اجتهاده ﷺ في قبول الفداء من أسرى بدر بعد استشارته لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما فأنزل الله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يَشْخَرَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ ﴿٦٧﴾ لَوْلَا كَتَبَ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لِمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ (الأنفال: ٦٧، ٦٨)<sup>(٣)</sup>.

ب - صلواته ﷺ على المنافق عبد الله بن سلول إكراماً لابنه عبد الله بن عبد الله الذي أبلني في الإسلام بلاء حسناً ودرأً للفتنة وتالياً لاتباعه على الإيمان فأنزل الله تعالى: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَيَّ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّتَّ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَيَّ قَبْرِهِمْ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَسِقُونَ ﴾ ﴿٥٤﴾ (التوبة: ٨٤).

(١)، (٢) حجية السنة أ. د/ الحسين شواط، ص ٣٨.

(٣) سنن الترمذي (٤/١٨٥، ١٨٦) (ح ١٧١٤).

ج - إعراضه ﷺ عن ابن أم مكتوم الصحابي الضرير الذي جاءه وهو مشغول بعرض الإسلام على زعماء قريش راجياً إيمانهم فأنزل الله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴿١﴾ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴿٢﴾ وَمَا بُدْرِكَ لَعَلَّهُ يَرْكَى ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الْذِكْرَى ﴿٤﴾ أَمَا مَنْ أَسْتَعْنَى ﴿٥﴾ فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَرْكَى ﴿٧﴾ وَأَمَا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَى ﴿٩﴾ فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ﴿١٠﴾ كَلَّا إِنَّهَا تَذِكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرْهُ ﴿١٢﴾﴾ (عبس: ١-١٢).

بهذا البحث يتبين أن جميع ما صدر عن النبي ﷺ من السنة بقصد التبليغ عن ربه هو وحي من عند الله تعالى، وأن ما صدر عنه بغير قصد التبليغ عن الله وأقره الوحي عليه كان بمنزلة الوحي وله حكمه، وجميع ذلك حجة على العباد يلزمهم العمل بمقتضاه، أما ما لم يقره الوحي عليه فإن الاحتجاج يكون بالتنبيه الذي جاء به الوحي عقبه، فتوجب العمل بالجميع لأن الوحي لا يتخلى عن النبي ﷺ ولا يتركه بلا تسديد<sup>(١)</sup>.

وبذلك نكون قد علمنا أن السنة هي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، وتلي مرتبتها كتاب الله، فقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى عن نبيه كما سبق وبيننا بقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿١﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٢﴾﴾ (النجم: ٣، ٤).

وأمرنا بإتباعه وطاعته بقوله: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴿١﴾﴾ (النساء: ٥٩).

وحذرنا من مخالفته بقوله: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾﴾ (النور: ٦٣).

(١) حجية السنة، أد/الحسين شواط، ص ٣٩.

وجعل ذلك من أصول الإيمان: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (النساء: ٦٥).

ولم يجعل لنا الخيرة أمام حكمه: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلًّا مُّبِينًا ﴾ (الأحزاب: ٣٦).

وفرض طاعته لأنها من طاعة الله: ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ (النساء: ٨٠).

وكل هذه الآيات تقطع دابر الشك في وجوب الأخذ بالسنة في الأدلة الشرعية، واعتبارها في المقام الثاني بعد القرآن لمكانتها في نفس المؤمن والأحاديث الدالة على أن السنة أخت القرآن تماثله في الحجية والاعتبار كثيرة نذكر منها: ما قاله رسول الله ﷺ: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبا، قالوا: يا رسول الله ومن أبا؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبا»<sup>(١)</sup>.

وقال ﷺ: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله»<sup>(٢)</sup>.

وقد ثبت المسلمون في نقلها بصورة لم يعهد لها نظير في تاريخ الأديان والشرائع، وقد بذلت فيها جهود مضية لفحص ما نسب إلى رسول الله ﷺ وتمييز الصحيح من غيره<sup>(٣)</sup> وسوف أوضح ذلك في الأبواب التالية تباعاً إن شاء الله تعالى.

(١) البخاري مع فتح (١٧٤/١٥) (ح ٧٢٨٠).

(٢) البخاري مع فتح (١٧٤/١٥) (ح ٧٢٨).

(٣) تاريخ التشريع، مناع القطان، ص ٨٨، ٨٩.

## وجوب طاعة الرسول ﷺ طاعة خاصة.

### السنة مع القرآن .

السنة مع القرآن على ثلاثة أوجه :

أحدها: أن تكون موافقة له من كل وجه، فيكون توارد القرآن والسنة على الحكم الواحد من باب توارد الأدلة وتضافرها.

الثاني: أن تكون بياناً وتوضيحاً لما أريد بالقرآن وتفسيراً له.

الثالث: أن تكون موجبة لحكم يسكت القرآن عن إيجابه، أو محرمة لما سكت عن تحريمه<sup>(١)</sup>.

ولا تخرج السنة عن هذه الأقسام فإن السنة لا تعارض القرآن بأي وجه من الوجوه، وقد أجمع العلماء على أن السنة قد تأتي بأحكام لم يثبتها القرآن ولم ينهها وأن ما كان منها زائداً على القرآن، فيكون حكماً سكت القرآن الكريم عن إيجابه أو تحريمه، وهذه الأحكام لا يمكن أن يكون فيها حكماً يعارض شيئاً من القرآن الكريم البتة، لأن القرآن والسنة كلاهما وحي من الله تعالى، فيستحيل أن يعارض الوحي نفسه أو يناقض بعضه. والله تعالى أن يأمر رسوله ﷺ بتبليغ أحكامه للناس من أي طريق سواء كان ذلك بالكتاب أو السنة، وذلك جائزاً شرعاً وعقلاً وواقع فعلاً، وحجة شرعية ملزمة<sup>(٢)</sup>.

(١) تاريخ التشريع، مناع القطان بتصرف ص ٩١: ٩٣، وحجية السنة بتصرف، أ.د/ الحسين شواط ص ٢٤٨، ٢٤٩.

(٢) تاريخ التشريع، مناع القطان بتصرف ص ٩١: ٩٣، وحجية السنة بتصرف، أ.د/ الحسين شواط ص ٢٤٨، ٢٤٩.

فما كان منها زائداً على القرآن فهو تشريع مبتدأ من النبي ﷺ تجب طاعته فيه، ولا تحل معصيته، وليس هذا تقدماً لها على كتاب الله لأنها كما قدمنا ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ ﴿١﴾ ، فوجوب طاعته في هذا امثال لما أمر الله به من طاعة رسوله، ولو كان رسول الله ﷺ لا يطاع في هذا القسم لم يكن لطاعته معنى، وسقطت طاعته المختصة به<sup>(١)</sup>.

وإنه إذا لم تجب طاعته إلا فيما وافق القرآن لا فيما زاد عليه، لم يكن له طاعة خاصة تختص به، وقد قال الله تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ (النساء: ٨٠).

فكيف يمكن لأحد من أهل العلم ألا يقبل حديثاً زائداً على كتاب الله ما دام حديثاً صحيحاً فمثلاً: لا يقبل حديث تحريم المرأة على عمتها، ولا على خالتها، ولا حديث التحريم بالرضاعة لكل ما يحرم من النسب، والأمثلة على ذلك كثيرة. وبما لا شك فيه أن في السنة أشياء لا تحصى - كثرة - لم ينص عليها القرآن كتحرим الحمر الأهلية، وكل ذي ناب من السباع، وألا يُقتل مسلم بكافر، إلى غير ذلك...، فلا مناص من الاعتراف بأحكام في الشريعة لم تثبت إلا في السنة وحدها<sup>(٢)</sup>.

فنجد بعد ذلك أن سنة رسول الله ﷺ ثروة خصبة في بيان مجمل القرآن وتخصيص عامه، وتقييد مطلقه، وتشريع أحكام لم يأت بها نص في القرآن وهي

(١) تاريخ التشريع، مناع القطان بتصرف ص ٩١: ٩٣، وحجية السنة بتصرف، أ.د/ الحسين شواط ص ٢٤٨، ٢٤٩.

(٢) تاريخ التشريع، مناع القطان بتصرف ص ٩١: ٩٣، وحجية السنة بتصرف، أ.د/ الحسين شواط ص ٢٤٨، ٢٤٩.

مادة غزيرة تغذي الفقه الإسلامي، وتتمي أحكام شريعته، وهي أولاً وأخيراً وحي من عند الله تعالى، ومن قبل عن رسول الله ﷺ فعن الله قبل. لأن الله افترض طاعة رسوله، والله وحده هو المشرع فلا شرع إلا ما شرع الله أو ما شرع رسوله، فلا يحل لمسلم علم ما في الكتاب وما في السنة أن يقوم بخلاف واحد منهما<sup>(١)</sup>.

---

(١) تاريخ التشريع - مناع القطان، ص ٢٧٢.

## القول بالاكْتفاء بالقرآن

إن هذه الشبهة تخدع الكثيرين، لما للقرآن من منزلة في نفوس الناس فيكثر أعداء الإسلام والسنة من القول بأن القرآن كاف - شاف - واف وأنهم ليسوا بحاجة إلى السنة، ويدللون على ذلك بقول الله تعالى: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَيْرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ أَمْثَالِكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ (الأنعام: ٣٨). وقوله عز وجل: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَنُذُرًا لِّلْمُسْلِمِينَ ﴾ (النحل: ٨٩).

وقد أشار الرسول ﷺ إلى قوم مكابرين محذراً منهم، فيقول: «ألا الفين أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه الأمر بما أمرت به أو نهيت عنه فيقول: لا أدري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه»<sup>(١)</sup>.

وفي رواية أخرى: أن رسول الله ﷺ قال: «ألا إنني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان متكن على أريكته يقول: عليكم بالقرآن فما وجدتم فيه من حلال فاحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه»<sup>(٢)</sup>.

وفي هذا الحديث تحذير من الرسول ﷺ من مخالفة السنن التي سنها ما ليس له في القرآن ذكر، على ما ذهبت إليه الخوارج والروافض فإنهم تمثلوا بظاهر القرآن، وتركوا السنن التي قد تضمنت بيان الكتاب فتحيروا وضلوا، وقد نهجوا ذلك النهج لخدمة مبادئهم الباطلة وأراد بقوله «متكئاً على أريكته» أنه من أصحاب أترفه والدعة الذين لزموا البيوت، ولم يطلبوا العلم من مظانه<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه أحمد تحقيق الألباني: (صحيح) انظر حديث رقم: (٧١٧٢) في صحيح الجامع.

(٢) رواه أبو داود، حديث رقم (٤٦٠٤).

(٣) تفسير القرطبي (٣٨/١).

وقد حذر الشاطبي منهم فقال: إن الاقتصار على الكتاب رأي قوم لا خلاق لهم، خارجين عن السنة، إذ عولوا على ما بينت عليه من أن الكتاب فيه بيان كل شيء فطرحوا أحكام السنة، فأداهم ذلك إلى الانخلاع عن الجماعة وتأويل القرآن على غير ما أنزل الله تعالى<sup>(١)</sup>.

وقد دل الحديث على معجزة للنبي ﷺ فقد ظهرت فئة في القديم والحديث تدعو إلى هذه الدعوة الخبيثة، وهي الاكتفاء بالقرآن عن الحديث، وغرضهم هدم نصف الدين، أو إن شئت قلت: تقويض الدين كله لأنه إذا أهملت الأحاديث والسنن فسيؤدي ذلك - ولا ريب - إلى استعجام كثير من القرآن على الأمة وعدم معرفة المراد منه، وإذا أهملت السنة واستعجم القرآن فقل: على الإسلام العفاء<sup>(٢)</sup>.

خاصة ونصوص الكتاب هي تراكيب لغوية جاءت بلسان العرب وجرت على أساليبهم في التعبير، قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (الدخان: ٥٨).

وقال: ﴿قَرَأْنَا نَارًا غَرِيبًا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (الزمر: ٢٨). فينبغي لمعرفة كثير من المعاني من معرفة طريقة العرب في التعبير عما في ضمائرهم<sup>(٣)</sup>.

## كيف؟

كيف يستغنى بالقرآن عن السنة، وفي القرآن من المجمل ما يحتم أن يكون بيانه، من السنة؟

(١) انظر الموافقات (٤/١٢٠).

(٢) دفاع عن السنة د / محمد محمد أبو شهبة يتصرف ص ١٥، ١٦.

(٣) الواضح في أصول الفقه، د / محمد سليمان عبد الله الأشقر، ص ١٧٢، دار الإسلام، دار النفائس، عمان، الأردن.

فإن القرآن لا يستغنى عن السنة، وهي مينة ومفصلة لمجملاته، لأن فيه لوجازته كنوزاً تحتاج إلى من يعرف خباياها فيبرزها، وليس القرآن ميناً للسنة لأنها مينة لنفسها، إذ لم تصل إلى حد الإعجاز والإيجاز، ولأنها شارحة له، وشأن الشرح أن يكون أوضح وأبين وأبسط من المشروح<sup>(١)</sup>.

## كيف؟

والقرآن والسنة شقيقان لا يفترقان، ولا يغني واحد منهما عن الآخر وهما من مشكاة واحدة ويستحيل أن نطبق أوامر الله وتبع شرعه دون العودة إلى السنة. وتبين الحاجة الماسة للسنة في فهم مراد الله في القرآن وبيان العقيدة الصحيحة، وصفة العبادة الشرعية بتوضيح أن القرآن الكريم قد أشتمل على آيات محكمات، وأخر متشابهات، وتضمن أحكاماً وعبادات مجملة وأخرى عامة، وأخرى مطلقة، وأخرى مشكلة ومبهمة، وهذه كلها لا يمكن فهمها إلا بالسنة المطهرة، ولا يمكن تطبيقها وترجمتها إلى عمل إلا بالرجوع إلى قول النبي ﷺ وفعله فيها<sup>(٢)</sup>.

## بيان السنة للقرآن

قال تعالى: ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ (النحل: ٤٤).

فما بين ﷺ وفصل، قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ (البقرة: ٤٣).

(١) حجية السنة، أ.د/ الحسين شواط ص ٢٦٦، ٢٦٧.

(٢) المصدر السابق ص ٢٦٧.

وقال: ﴿ حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾

(البقرة: ٤٣).

وغيرها من الآيات الكريمة، ففي القرآن الكريم كلامٌ من عدة أوجه عن الصلاة، صلاة الأمن، صلاة الخوف، وصلاة الجنازة، وفيه الحديث عن القبلة، والاتجاه إلى البيت الحرام، والمساجد وعمارتها، وفيه الأمر بالمحافظة على الصلاة في أوقاتها، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴾

(النساء: ١٠٣).

وفيه الحث على الخشوع في الصلاة: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي

صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٦﴾ (النساء: ١٠٣)، وفيه التحذير من تأخيرها عن وقتها:

﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ (الماعون: ٤، ٥).

وهنا يتساءل الإنسان عن هذه الصلاة التي لها أوقات، ولها قبلة، وتصلى في جماعة، ولو في معركة حربية مع المشركين، وتبني لها المساجد ويتطهر لها، يتساءل الإنسان: أين التوصيف الدقيق لها؟ فما عددها؟ وما هي أوقاتها؟ وكيف تؤدي؟ بل ويتساءل عن دقائقها، فما معنى قول الله تعالى: ﴿ وَأَرْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ أسئلة كثيرة وكثيرة ناشئة عن آيات القرآن الكريم، فنجد إجابتها في السنة النبوية، فنجد فيها توصيفا دقيقاً يتناغم مع القرآن الكريم، بكل دقة ويتوافق معه بكل عظمة حتى إن القارئ للكتاب والسنة لا بد وأن يقول: انهما من مشكاة واحدة.

فحينما نقرأ القرآن الكريم: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَرْكَعُوا مَعَ

الرَّاكِعِينَ ﴾ ﴿١٢﴾ (البقرة: ٤٣) <sup>(١)</sup>.

(١) دفع الشبهات عن السنة النبوية، أ.د/عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي ص ٢٨، ٤٠، مكتبة السنة.

نجد بياناً لهذا المَجْمَل في السنة بكل توضيح فالصلوات خمس في اليوم والليلية، ونجد عدد ركعات كل صلاة، وحقيقة الركعة، وأنها مؤلفة من قراءة وركوع ورفع وسجود أول وجلوس وسجود ثان مع اطمئنان في تأدية الأركان، وما هي أركان الصلاة وسنتها ومستحباتها وغير ذلك<sup>(١)</sup> ونجد في السنة توضيحاً كاملاً لقوله: ﴿وَأَزْكُوا مَعَ الرَّكْعَيْنِ﴾ ففيها أحكام صلاة الجماعة، ومن أولى بالإمامة، ومتى يجهر الإمام ومتى يسر، وغير ذلك كثير.

حتى إن الإنسان لا يحتاج بعد توضيح السنة شيئاً قط، فقد وضع الأمر كل الوضوح، وكذلك الزكاة قال تعالى: ﴿وَأَتُوا الزَّكَاةَ﴾ فهل بين القرآن الكريم الأموال التي يجب فيها الزكاة، والمدة التي تجب فيها الزكاة، والمقدار الذي يجب فيه الزكاة، والمقدار الذي يجب أن يخرج منه صاحب المال، إن القرآن لم يبين ذلك، فبينت السنة كل ذلك<sup>(٢)</sup>.

## كيف؟

نقول يكفيننا القرآن ويغنينا عن السنة، وكل هذه أركان الإسلام وفروضة فقد بينت السنة كذلك تفاصيل الحج والجهاد، واليوع، والنكاح، والطلاق، والرضاعة، والنفقات، جاءت التشريعات في هذه الأمور وغيرها مجملة في القرآن الكريم<sup>(٣)</sup>.

قال تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (المائدة: ٣٨)، ولم يبين لنا ما هي السرقة التي توجب

(١) دفع الشبهات عن السنة النبوية أ.د/ عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي بتصرف، ص ٣٨-٤١.

(٢) المصدر السابق بتصرف، ص ٣٨-٤١.

(٣) المصدر السابق بتصرف، ص ٤١.

القطع؟ وما النصاب الذي يحذ فيه السارق؟ وما المراد بالأيدي؟ ومن أي موضع يكون القطع؟ فينت السنة كل ذلك.

## كيف؟

نعبد الله كما أمرنا ونطيع أوامره بدون بيان السنة؟ وقد قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذاريات: ٥٦)، كيف يقوم الإنسان بوظيفته في الأرض منذ أن عهد الله إليه بالخلافة في الأرض وقد وضع لها شروطاً خاصة وجعلها سبحانه وتعالى عبادة قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ (البقرة: ٣٠) وفي نفس الوقت: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ وكيف، وكيف، وكيف!!!.

أما قوله تعالى: ﴿ تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ (النحل: ٨٩)، فإن الكتاب تبيان لكل شيء فعلاً، لكن ليس تفصيلاً، وإنما باشتماله على كليات الإسلام وأصوله، وباشتماله على المصادر التي تبين وتفصل، والأمر بإتباع هذه المصادر وهي: السنة - لقوله تعالى: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ (الحشر: ٧).

الإجماع - لقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ (النساء: ١١٥).

القياس - لقوله سبحانه: ﴿ فَأَعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴾ (الحشر: ٢)<sup>(١)</sup>.

(١) دفع الشبهات عن السنة النبوية، أ.د / عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي بتصرف ص ٤٢.

وأما قوله: ﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ ، هل الكتاب هنا هو القرآن إن سياق الآية: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَيْرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ (الأنعام: ٣٨).

لو كان الكتاب هو القرآن لكان القرآن مشتملاً على شئون جميع المخلوقات ومقدراتها وأرزاقها، الطيور في الهواء، وأمم البحار من أسماك وغيرها، وأمم أكبر من الوحوش وغيرها، ولما لم يكن القرآن مشتملاً على ذلك، ثبت أن المراد بالكتاب في قوله تعالى: ﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ ، إنما هو اللوح المحفوظ<sup>(١)</sup> كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (هود: ٦).

## عصمة النبي - ﷺ :

كيف نتبع القرآن وحده وكيف لا نتبع الرسول في سنته ، وقد عصم الله تعالى رسوله ﷺ من جميع ما يخجل بتبليغ الرسالة؟

لقد دل الشرع على أن نبينا محمد ﷺ وسائر الأنبياء معصومون من أي شيء يخجل بتبليغ ما أرسلهم الله به إلى أممهم ، بحيث يؤدون الأمانة على وجهها ويبلغون رسالات ربهم كما أوحيت إليهم دون أدنى خلل.

فقد عصم الله رسوله ﷺ وحماه من أي شيء يمكن أن يخجل بتبليغ رسالته ، فهو معصوم من كتمان الرسالة أو شيء منها ، ومعصوم من الكذب في دعواها ، ومعصوم من الشك في أي جزئية منها ومعصوم من التقصير في تبليغها ومعصوم

(١) دفع الشبهات عن السنة النبوية ، أ.د/ عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي بتصرف ص ٤٢ .

من تلييس الشيطان عليه ومن تسلطه على خواطره كما أنه ﷺ معصوم من السهو والخطأ في أقواله وأفعاله البلاغية التي يقصد من خلالها تبليغ الشرع للأمة، وذلك بدلالة المعجزة.

فإن الله تعالى أعطاه ﷺ القرآن الذي تحدى به فصحاء العرب وبلغاءهم فعجزوا عن المعارضة، فثبتت بذلك رسالته وأنه مبلغ عن ربه، فهو بالتالي معصوم من الخطأ في التبليغ عن الله تعالى، ولو جاز عليه شيء من السهو أو الخطأ في البلاغ لأدى ذلك إلى إبطال دلالة المعجزة وذلك محال<sup>(١)</sup>.

إن الله تعالى شهد له بالبلاغ، وأنه مستمسك بالذي أوحى إليه، وأنه يهدي إلى صراط مستقيم، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (الشورى: ٥٢).

وأقسم سبحانه وتعالى وقال: ﴿وَاللَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (النجم: ١-٤).

وأخبرت المعجزة نفسها أنه يستحيل عليه أن يزيد أو ينقص أي شيء في الشرع، قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ﴾ ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ (الحاقة: ٤٤-٤٦). وكل ما يصدر عنه في مجال التشريع هو من عند الله قرآنا كان أو سنة.

وقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (المائدة: ٦٧).

(١) حجة السنة، أ.د / الحسين شواط، ص ٢٦٤.

واضح هنا أن الله عصمه وحماه من كل ما يخل بتبليغ الرسالة صغر أو كبر وقد حمى الله تعالى رسوله من إضلال أعداء الإسلام قال تعالى:

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ ﴾ (النساء: ١١٣). فلا يستطيعون التأثير على دينه أو تغيير حرف مما أوحى إليه.

قال ﷺ: «إن لكل منكم قريناً» فقالت عائشة: حتى أنت يا رسول الله، قال: «حتى أنا ولكن الله أعانني عليه فأسلم»<sup>(١)</sup>، فهو معصوم حتى من وسوسة الشيطان<sup>(٢)</sup>.

وفي آخر زمنه شهد الله تعالى له: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِيمَانِهِ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (المائدة: ٣).

(١) صحيح مسلم (٤/ ٢١٦٧، ٢١٦٨) (ج ٦٩).

(٢) حجة السنة، أ.د. / الحسين شواط، ص ٢٦٥- ٢٦٦.